السليمانية

مدينـــة الأمن والسلام والإعمـــار والنظـــام

كتابة وتصوير
صافي الياسري - ثريا البرزنجي

السليمانية: هي مدينة الثائر الكردي الخالد محمود الحفيد الذي مازال الاكراد في العراق وايران وسوريا وتركيا يسمون الصخرة التي قاتل الانجليز من خلفها . منفردا . ببندقية بدائية(به ر دي قاره مان) ومعناها صخرة البطل الذي لا يقهر، وهي موجودة حتى الآن في ناحية التكية على الجانب الأيمن في الطريق العام بين كركوك والسليمانية، اسفل تل الاحراش الذي كان قد بني عليه جزء من مخيم الأكراد الذين هجرهم النظام المباد من كركوك وقراها وقصباتها واقضيتها ونواحيها وسلبهم دورهم واموالهم واراضيهم الزراعية واموالهم العينية والنقدية، بل حتى اسماءهم.

والسليمانية ايضاً هي مدينة رمز الحركة الكردية الخالد المقاتل العنيد الجنرال وزير دفاع جمهورية مهاباد الشهيدة . هذه الجمهورية التي تآمر على اسقاطها، الانجليز و الروس والاتراك والايرانيون . الملا مصطفى البارزاني، وقد راحت ضحية واقع التوازنات الدولية التي كانت تحرم قيام أي كيان سياسي كردي ولو بأبسط اشكال الاستقلالية.

وهي المدينة التي اغتالها النظام المباد بعد توقيعه اتفاقية الجزائر مع نظام الشاه، وانهيار الحركة الكردية التي كانت قد منحت ثقتها من لا يستحقها فأخذت عبرة ودروساً لايمكن ان تنسى، حيث وقع صدام حسين وكان يومها نائباً لأحمد حسن البكر (رئيس الجمهورية يومها) صكاً تنازل بموجبه عن جزء من شط العرب ليقتسم العراق مع ايران ما يعرف ملاحياً بخط التالوك أي الخط الصالح للملاحة ومرور السفن، فضلاً عن تنازلات اخرى مازالت مكتومة حتى اليوم، وهي ايضاً مدينة(البيش مركة) المقاتلون الاشداء.

الرحلة

نودع كركوك.. حقل الالغام التي لم يكتمل انتزاعها بعد، ونسافر باتجاه . مدينة البهجة . السليمانية ومن يقرأ الوقائع التاريخية التي اغتصبت فيها الحكومات العراقية والاجنبي حقوق الأكراد قديماً وحديثاً فهي مازالت مهدورة حتى هذه اللحظة . يقرأ ان كان منصفاً . أن على كل اطراف المعادلة السياسية على الساحة العراقية تفهم الوضع النفسي للأكراد و التضامن معهم لاستعادة حقوقهم كلها . وفي المقدمة . القوميون العرب . الذين يتذكر الاستاذ جلال الطالباني الذي كان ممثلاً للحركة الكردية في القاهرة ايام عبد الناصر القائد القومي العربي الذي لا جدال حول انتمائه، انه كان اول زعيم عربي يفتتح اذاعة كردية في القاهرة . عاصمة القومية العربية . وعندما احتجت تركيا على عبد الناصر لفتح تلك الاذاعة قال لهم بالحرف الواحد . انتم لا تعترفون بوجود الاكراد في بلادكم فلماذا تحتجون علينا لأننا نعترف بوجودهم ولغتهم ليس في تركيا وحسب وانما في ايران والعراق وسوريا والاتحاد السوفيتي؟ واعترف أني كعربي عانيت شخصياً الكثير من سوء الفهم من السذج والمتعصبين العرب وانا اكتب مقدماً ولائي الوطني للعراق وللحقيقة على ولاءاتي الأخرى، ومحترماً حقوق الانسان وحقوق حاملي الهويات القومية الأخرى، مثلما لقيت الاعتزاز والتفهم والتقدير ممن اعترفوا ان الحقيقة كانت غائبة عنهم . عرباً عراقيين ومن دول عربية اخرى . واكراداً وتركماناً وكلدو اشوريين . وان دعوتي لهم الى السعي لاستكشاف الحقائق بانفسهم وبتجرد علمي ومنطقي واستقاء المعلومات من مراجعها الموثوقة، تلقى التقدير الجدي والحقيقي منهم.

في الطريق الى مدينة البهجة

الطريق الى السليمانية عبر كركوك . معبد جيداً ومنظم مرورياً وامنياً حيث تشرف وحدات (البيش مركة) عليه من على تلاله وجباله، ومفارزها وسيطراتها الموزعة على طول الطريق، للتأكد من انسيابية المرور وضمان خلو المركبات المارة من أدوات القتل والتفجير، وقد نصبت، مفارز وسيطرات وابراج المراقبة على الطريق منذ الامتار الأولى التي غادرت فيها مركبتنا . الكردية التركمانية العربية . كركوك، فانا عربي وزميلتي الدكتورة ثريا البرزنجي كردية وزوجها الاستاذ الجامعي تركماني.. ها نحن نودع آخر خط للبيوت في حي الاسكان الكركوكلي ونمضي باتجاه دار البهجة والامان.

قره هه بخير

وهي ناحية تابعة ادارياً لكركوك، وتعني بالتركمانية . قره . الأسود وهه بخير . التين، وهي بذلك تعني بستان التين الاسود الذي اشتهرت به فعلاً وقد شاركت هذه الناحية في انتفاضة عام٩١ ضد النظام المباد، الذي هاجمها بشراسة وطرد سكانها الذين نزحوا الى جمجمال، لتصبح المدينة معسكراً ومنطقة محرمة عسكرياً، بينما كانت منطقة سياحية ومنتجعاً مقصوداً لسكان كركوك، عامرة ببساتين الاشجار المثمرة وفي مقدمتها التين الأسود الذي اخذت اسمها منه، وقد قام رجال الحرس الجمهوري الذين قمعوا انتفاضة الشعب العراقي عام ٩١ بكل شراسة باعدام هذه البساتين وقطع اشجارها، وقد عاد لها سكانها بعد سقوط النظام،وهي تلقى اليوم عناية خاصة لتستعيد مكانتها الاولى، وهذه الناحية تبعد نحو خمسة وعشرين كيلومتراً عن حدود بلدية كركوك وتتبعها ادارياً حتى الان وكان عدد نفوسها يقدر بـ ٢٠ ألفاً قبل عام ٩١ . قبيل الانتفاضة . ولم يبق فيها بعد الهجوم الانتقامي للحرس الجمهوري . شخص واحد . بينما عاد اليها اليوم نحو عشرة آلاف شخص يسعون بجهد جهيد وسعي حثيث الى اعادة المدينة الى اسمها القديم . بستان التين الاسود . .

جمجمال

بعد قره هه بخير بمسافة تدخل قضاء جمجمال وهو الحد الفاصل بين (الملاذ الآمن) للأكراد . وسيطرة التحدي للجيش العراقي التابعة للنظام المباد . ويقدر عدد نفوس سكان جمجمال بنحو ٢٠٠ ألف نسمة وقد كانت تضم ناحية (اغجلر والتكية وسنكاو وشورش وكوبالا .. وقرى اخرى عديدة) وقد ازداد عدد نفوسها بعد انتفاضة عام ٩١ وقيام النظام المباد بترحيل الاكراد من كركوك وقصباتها الى الرقعة الجغرافية التابعة لمحافظة السليمانية. واغلب سكان جمجمال كانوا يمتهنون التهريب وكانت تكثر فيها عصابات الجريمة المنظمة التي قضت عليها قوات الأمن التابعة لاقليم كردستان، ويعمل عدد من سكانها كموظفين في دوائر الدولة في المحافظة، ويعمل آخرون حرفيين وعمالاً بدائيين.

وهي اليوم مدينة حديثة البنيان عامرة الأسواق وتتمتع بمستوى خدمات راق، فلا تشكو انقطاع التيار الكهربائي ولا انقطاع المياه الصالحة للشرب ولاتوقف خدمات التنظيف والخدمات البلدية الأخرى، وتسعى الحكومة الاقليمية للأرتقاء بهذه الخدمات الى مستويات اعلى، وقد تم توزيع قطع اراض سكنية على الموظفين الذين كان النظام السابق قد حرمهم الكثير من حقوقهم، كما قامت الحكومة الاقليمية بتوسيع بنايات المستشفى العام في المدينة واضافة ملحقات خدمات صحية اليه، وقضت بشكل تام على بؤر الجريمة والتهريب التي كانت منتشرة في المدينة بسبب البطالة، ويعترف سكان المدينة ان الحكومة الاقليمية انقذتهم من حصارين كانوا يعانون منهما، الأول هو الحصار الدولي على العراق والثاني هو حصار الحكومة العراقية على الأكراد ومناطقهم، وهم يتذكرون كيف بلغ سعر برميل النفط الأبيض (الكيروسين) في مدينتهم ١٥٠ ألف دينار في حين كان سعره في كركوك خمسة الاف دينار. وكان سعر الجلكان (٥) لترات بنزين قد بلغ خمسة وعشرين الف دينار في حين كان سعره في كركوك وبقية المحافظات ١٠٠ دينار فقط!!

اما المواد الغذائية فحدث ولا حرج مما دفعهم الى قطع الأشجار لاستخدامها كوقود للتدفئة والطبخ وتقوم الحكومة الاقليمية اليوم باعادة تشجير المنطقة، ووفرت للسكان الوقود بكميات جعلتهم لا يقفون امام مضخة البنزين او الكيروسين الا دقائق، بينما يقف امثالهم من المواطنين العراقيين في العاصمة بغداد يوماً وليلة للحصول على نصف حاجتهم من البنزين وبسعر اعلى.

مدينة البهجة

لم يعد الحديث عن السليمانية مهماً، ونحن نكشف صورة ضواحيها وتوابعها ومستوى رقيها، لكننا مع ذلك سنرسم أبسط الصور التي صرنا نفتقدها في العاصمة بغداد، فعلى امتداد شارع "مولوي" من مدخل المدينة، تعمل الاشارات المرورية (الترافك لايت) ويلتزم بها السواق، ويحترم شرطي المرور واشارته الى درجة بعيدة، وهناك شرطيات مرور وشرطيات في مجالات اخرى، فالمرأة هنا ولجت كل الميادين دون ان تواجه التمييز الجنسي، أما الحركة الاقتصادية، فالمدينة تشهد حركة تجارية واعمارية تمد اقتصادها بروافد وفيرة الامدادات وبخاصة القطاع السياحي . وقد هاجرت اليها رؤوس اموال مهمة ومؤثرة من شتى أنحاء العراق وبخاصة العاصمة بغداد وبشكل اكبر بعد حريق عمارة القادسية في الشورجة وعدم شعور التجار بالأمان الذي توفره مدينة السليمانية بشكل جلي، فازدهرت هنا الاعمال المصرفية بسبب تدفق رؤوس الاموال ونموها واصبحت السليمانية مركزاً تجارياً عراقياً يفوق مركز بغداد، كما ازدهرت فيها حركة الاستثمار في القطاع السياحي . بناء الفنادق والشقق السكنية السياحية واستوطنت المدينة كذلك شريحة واسعةمن الانتلجنسيا العراقية . من اصحاب الشهادات العليا والاطباء والمهندسين الذين لم تعد اوضاع بقية المدن العراقية توفر لهم ولعوائلهم الاطمئنان على يومهم بله مستقبلهم.

كما أفرزت حركة الاعمار والبناء المتصاعدة في المدينة طلباً شديداً على الايدي العاملة المحلية، فنزح الى المدينة الاف العمال المهرة وغير المهرة في قطاع البناء، ويمكنك ملاحظة . مسطرهم . الذي يقيمونه صباح كل يوم عند ارصفة جامع كاكا شيخ احمد وقد نقلوه من الكاظمية والباب الشرقي وهم في الأغلب من ابناء المحافظات الجنوبية التي مازالت تعاني آثار القهر والحرمان وسياسة الافتقار التي مارسها ضدها النظام المباد.

وللثقافة نصيبها

والسليمانية اليوم مركز ثقافي مشع، فقد نشطت حركة النشر والكتابة . الحرة . بعد ان حطمت قيود البرمجة الشوفينية واسوار الحصار الثقافي، فتفتحت نوافذ المدينة على كل ثقافات العالم وشهدت مؤتمرات ثقافية عديدة ناقشت عموم واقع الثقافة في العراق والثقافة الكردية بشكل خاص . كما انتشرت في المدينة المطابع التي ازدهرت اعمالها هي الأخرى بسبب تعدد الصحف التي وجدت حريتها مع انسام ومناخ الحرية الذي شاع في المدينة بعد ان استقرت في مسارها بعيداً عن نظام العبث والدكتاتورية منذ اوائل العقد الأخير من القرن الماضي.

وتتذكر السليمانية بفخر واعتزاز مشاركات مثقفيها وشعرائها وادبائها في النشاط الثقافي والسياسي في عموم العراق. وتقدم اسماءاً بارزة في سماء الأدب والشعر والفن، ويمكنك ملاحظة اعتزاز المدينة بسياسييها وهي تنصب تمثال الثائر محمود الحفيد في اهم ساحاتها، وتنصب تماثيل شعرائها وادبائها على واحد من ابرز صروح الثقافة في المدينة.

مكتبة السليمانية التي تم افتتاحها في ١٩٩٤/١٠/١٣ كما يشير اللوح التاريخي المرمري الذي وضع على بوابتها وهنا لا تستقبلك الكتب وحدها، وانما بشاشة اداريي المكتبة الذين يذكرون لك انهم كثيراً قرأوا ويعدونها جريدة العراق الأولى، ويعرفون اسماء كتابها ويعتزون بهم.

وتلتفت الى الارشيف الثر.. والغني للمكتبة، فيخبرك مديرها أنهم نقلوا كل متعلقات ومحتويات هذا الأرشيف الى مكتبة اقراص ليزرية، ثم يعرضون عليك مجلداتهم التي اصفرت اوراقها ومع ذلك فهي مازالت تحكي نضالات الكرد العراقيين وانتماءهم الى تربة أعرق وطن عرفه التاريخ واعرق حضارة عرفها العالم.

ولم تغب عن المكتبة خطوات التقدم التكنولوجي، فهي تشغل ثلاث قاعات بها عشرات الحواسيب المزودة بخطوط الانترنيت.. فتجد العالم كله هنا بين يديك في زاوية مشرقة من زوايا السليمانية الراكضة بجد واجتهاد للحاق بالركب العالمي المتقدم.

وللمرأة الكردية صوتها

وهنا.. لا تخاف المرأة الكردية ان ترتدي ما تشاء من الازياء التي تنتجها دور الازياء العالمية، وتستطيع ان تقبض على ساعد حبيبها او صديقها او زميلها او زوجها وتسير في الشارع مطمئنة الى ان ثمة ضماناً مؤكداً يكفل حريتها في السلوك الحضاري الذي لا يتعارض واخلاقية المدينة وهويتها وطابعها، ومثلما لم يمنع عليها ان تلج أي مجال عمل وان تتساوى اجورها مع اجور الرجل، وان يسري عليها قانون يرعى مصالحها في مواجهة الأحوال الشخصية، فتح لها باب البرلمان الكردي، فكانت ضمانة قوية من ضمانات الديمقراطية في كردستان، وهي تستحق ذلك بجدارة فقد شاركت شقيقها الرجل ايامه السود وصبرت عليه معوقاً وسجيناً وشهيداً، كافحت وناضلت لتربي اولاده وتعلمهم مبادئه وعقيدته وحبه للحرية، وقاتلت على ربى كردستان لتستعيد لها وهج حريتها، وهي هنا نائبة في البرلمان والقانون يكفل لها كل حقوق زميلها الرجل، وهي طبيبة ومهندسة وصحفية وشاعرة وفنانة وعاملة .. وشرطية

(المـــدى)

و..

وللسليمانية جمالها

كنت اطمح ان أرى الكثير من معالم السليمانية السياحية ومنتجعاتها المعروفة، لكن الوقت الذي كنت مقيداً به، دفعني الى التسكع في مصيف سه رجنار وبكره جوالتي كانت مزرعة الحكومة، هناك نقطة لا ادري ان كنت محقاً فيها أم لا، هي زحف البناء على اطواق المدينة الخضر وفضاءاتها، ربما كان للأخوة في ادارة المحافظة رأيهم، ونعد اننا في زيارة قادمة سنستطلع الاراء الرسمية، التي تقصدنا في هذه (البانوراما) ان نستبعدها لنعد ريبورتاجاً ميدانياً مبنياً على المشاهدة العينية.

مدينة الأطفال

او مدينة الألعاب، وهذه المدينة تكتظ بالعوائل بمجرد ان يزحف ظل . العصرية . قليلاً . ويتراكض الاطفال في حدائقها ويحاورون العابها، ويبحرون على زوارق بحيرتها الأنيقة، وبرغم حرارة اول آب.. الا انك تجد نسائم السليمانية العليلة تنسيك طباخات الرطب في بغداد وبقية مدن العراق، التي هربت عوائلها الى شلالات كلي علي بك وبيه خال في ربوع كردستان.

لمحة سياحية

جبل أزمر

"هه ر بجي كرد وعرب رمز النضال.. من تهب انسام عذبة من الشمال.. على اطراف الهور تتفتح ازهور، ولو عزف علناي راع من الشمال عالربابة ويجاوبه راعي الجنوب.. هه ر بجي" مازالت اغنية احمد الخليل هذه التي تؤكد الاخوة العربية . الكردية ترن في ذاكرتي.. وانا اتجول على سفوح جبل أزمر وفندقه وموتيله السياحي الرائع، ومنتجعات الوديان الباردة اللطيفة الروح..الخضراء الحافلة بالزهور التي لم تتمكن ان تنال منها شمس آب اللهاب وهي تلوذ بمرتفعات وسفوح جبل أزمر.

لكن ما اريد ان اشير له هنا، هو ان من يقصدون السليمانية عليهم ان يضعوا في اعتبارهم اولاً وآخراً انهم انما يقصدون مدينة خارجة على السياق العراقي المألوف وبخاصة في ما يتعلق بالأسعار الجامحة، وهي في هذا الشأن.. مدينة اوربية.

هيهات منا الذلة

المحرر

لن نكسر! نعم، عدّه شعاراً، هتافاً، صيحة صرخة في فضاء لم تعد تعرفه، لكنني أؤكد لك أنها هوية طبعتنا نحن العراقيين الذين لم تتمكن عصور القهر منذ مئات السنين من كسرنا، ولم تتمكن المقابر الجماعية برغم كل شجنها وشجاها وغرغرة دموعها في العين ونشيج الأسى الشفيف من أن تزبد أو ترعد في سماواتنا المنتظرة الصابرة ثم تمطر إنكساراً.. بقينا مواكب لنا في كل ثانية يد تتحزم عضضنا بالنواجذ على السكاكين التي حزت لهاتنا واحداً واحداً وأدمت قوادمنا ومع ذلك ما طاحت اجنحتنا وإن شغلت محاجرنا دمعة الحسين، لكنها دمعة لها وهجها الخاص الذي لم يكن يعني يوماً إلا التضامن والتعبير عن إنسانية الإنسان الباكي لمصاب أخيه الإنسان، قبل أن يكون امامه ورائده عقيدة وسلوكاً وهو القائل – هيهات منا الذلة –وما زلنا نردد خلفه ومعه وإلى جانبه، اليوم وغداً، وبعد غد هيهات منا الذلة.

لم نتراجع يوم سقط الرجال في النجف عند بوابة الصحن العلوي الشريف، ومن قبلها لم نتراجع يوم خلط الوهابيون دم النجفيين بمياه آبارهم ونهبوا وسلبوا وهتكوا وفتكوا، ولم نتراجع يوم عاشوراء في الكاظمية وكربلاء، وكانوا يقولون لنا في رسائلهم التي حملتها قنابلهم ومتفجراتهم وأحزمتهم، كما قتلنا (حسينكم) سنقتلكم، وبقينا، وبقي حسيننا راية لكل من يرفض الظلم والاستعباد والجور، ولم نتراجع يوم حصدت المفخخات أخوتنا المصلين في جوامع الأعظمية والبياع والحرية وبعقوبة و...

ويوم أحرقت مخازن تجارنا في الشورجة، ويوم هوجمت صفوف وباحات مدارسنا، وهتكت أعراض بناتنا واختطف أولادنا وحورب أساتذتنا وأطباؤنا ولم نتراجع يوم التهب مرآب النهضة وانتشر شرره فعم كل جنوب العراق ووسطه وشماله، فما زال السواق العاملون على خطوط الكوت والعمارة والناصرية والبصرة والمثنى وكركوك يركنون مركباتهم على أرصفة مرآب النهضة وما زال الركاب يقدمون إليه، وقد شدوا على جراحهم وأغفلوا أوجاعهم وإن لم ينسوها..

ولم ننكسر، ولم ننجر إلى حيث يريدنا الوالغون في دمائنا الموغلون في دروب الجريمة.

وكما فعلوا في عاشوراء في الكاظمية.. كما فعلوا في يوم الشهيد الخالد الإمام الحسين (ع) فعلوا في يوم الشهيد الحفيد الإمام موسى بن جعفر، فقرنوا شهادته بشهادة أهلنا من الكاظمية والأعظمية والصدر والشعب وراغبة خاتون والكسرة ومن أحياء بغداد الشرقية الأخرى، ومع كل هذه اللافتات السود التي رفعت على جدران جوامع وحسينيات وبيوت البغداديين، وثائق إدانة، وشهادات ميلاد جديد خالدة، ومع كل عويل الأرامل والأيامى والثكالى العراقيات، لم ننكسر، وسنعبر جسر الأئمة كل مرة تحدياً وكبرياءً لنصلي في صحن ضريح الإمام موسى بن جعفر (ع) وبقية جوامع وحسينيات الكاظمية – خصوصا –لعل رسالتنا تسمع من في أذانه وقر.. ولعل من لم يعرفنا بعد.. سيعرفنا.. ولعل من لم يتعلم من قبل سيتعلم اليوم أو غداً ألا جواب لدينا إلا صرخة الشهيد الخالد –سيد الشهداء –الحسين بن علي (ع) هيهات منا الذلة.

Safi alyassry@yahoo.com